الْفَصْلُ الأَوَّلُ

سُلْطَانُ الْمَنَامَاتِ

الْفَصْـلُ الْأَوَّلُ

سُلْطَانُ الْمَنَامَاتِ

كان «الحلْم» ـ ولا يزال ـ من التجارب الإنسانية التي حَظِيَتْ باهتمامٍ بليغٍ في حياة البشر؛ إذ للحلم آثارُهُ وانطباعاتُهُ في نفس الحالم؛ (فقد تلقى صديقًا أو قريبًا فتراه حزينًا كئيبًا، فتسبر غور نفسه؛ لتعرف سرَّ كآبته وحزنه، فتعجب أشد العجب عندما تعلم أن سبب ذلك رؤيا مرعبة، أو منذرة بخطرٍ سيُدَاهِمُهُ. وقد تجده فرحًا منشرح الصدر، بَاسِمَ الثغر، وما ذلك إلا لأنه رأى رؤيا مفرحة، أو مُبَشِّرَةً بحدث سارٍّ قادم. يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر ـ حفظه الله ـ: (كانت الرؤى ـ وما زالت ـ ذاتَ تأثير لا على الأفراد العاديين فحسب، بل وعلى النابغين والأذكياء، وكم أَقَضَّتِ الرُّؤَى مضاجِعَ الجبابرة والملوك، وكم شغلت شَعْبًا بأكمله يَوْمًا مَا، وما رؤيا ملك مصر في عهد يوسف ببعيدة عن ذاكرتنا، فقد رأى سبع بَقَرَاتٍ سمانٍ يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، وكانت رؤيا حق، نفعت الناس نفعًا عظيمًا، عندما وُجِدَ الشخصُ الذي يحسن تفسيرها، وتأويلها.

وكثيرٌ من الناس اليوم يُبَادِرُونَ بالتكذيب بالرؤى والأحلام، ويزعمون أن الرؤى المنامية ليست إلا انعكاسات لما يَجُولُ في فكر الإنسان في حال يقظته، وما يُخْتَزَنُ في فكره الباطن، فإذا ما استسلم للرقاد، وطاف في أودية الكرى، فإن عقله الباطن يعمل، فيحقق المرء في نومه ما لم يَسْتَطِعْ تحقيقه في عالم اليقظة.

ونحن لا نُنْكِرُ أن قِسْمًا كبيرًا من الرؤى ليس إلا انعكاسات لأحاديث النفس وخواطرها التي تمر بها في اليقظة، ولكننا نرفض رفضًا قاطعًا أن تكون جميع الرؤى كذلك، ونقول: إن هذا تَحَكُّمٌ يَعْلَمُ كَذِبَهُ كل من تفكر في رؤاه التي مرت به، أو التي سمع الناس يروونها، ويُحَدِّثُونَ بها عن أنفسهم، كيف بالله نُفَسِّرُ رؤيا امرأة رأت

وليدها يسقط من سطح منزل، وفي الصباح يخرج فلا يعود؛ لأن سيارة داهمته، وأودت بحياته؟! وكيف نُفَسِّرُ رؤيا رجل يرى نفسه وقد سافر إلى بلد، وسكن منزلًا معينًا رأى في المنام معالمه، فلا تمضي شهور حتى يكون في ذلك المنزل الذي رآه في منامه؟!

وكيف نُفَسِّرُ رؤيا رجل رأى أنه سافر، وتعطلت سيارته على صورة ما، وينسى الرؤيا ولا يذكرها إلا حينما يرى المشهد الذي رآه في المنام حقيقة ماثلة؟!. أذكر أن «محمد أسد»؛ وكان كاتبًا يهوديًّا، ثم اعتنق الإسلام، حَدَّثَ في كتابه «الطريق إلى مكة» عن رؤيا رآها قبل إسلامه، وقام من منامه، وسَجَّلَهَا، وقد تحققت فيما بَعْدُ، على الرغم من طولها، وكثرة أحداثها.

إذن، ليس كل الرؤى انعكاساتٍ لأحاديث النفس وخواطرها وهواجسها، بل الأمر أعمق من ذلك.

والإنسان ليس بِمُطِيقٍ بعقله وفكره أن يصل إلى أعماق نفسه؛ ففي النفس الإنسانية مَجَاهِيلُ يعجز الإنسان عن الإِحاطة بها، على الرغم من أنها أقرب الأمور إليه.

والرؤى لها علاقة بالنفوس الإنسانية، وفيها جانب غيبي، لا يخضع للعلم المادي المبني على النظر والتأمل والبحث المادي.

وقد أَغْنَانَا الرسول ﷺ عن إتعاب النفس في هذا الموضوع، وقال لنا فيه الكلمة الحق؛ وهي الكلمة الفصل التي لا نحتاج معها إلى غيرها؛ وذلك أنها تمثل الحقيقة، وتُفَسِّرُ الأمر تفسيرًا يدرك الإنسان صدقه عندما ينظر إلى رؤاه، ورؤى الناس في ضوء ما أخبر به المصطفى ﷺ .

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن ماجه: «إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[1].

(١) «صحيح ابن ماجه» (٣١٥٤) (٢/٣٤٠).

وفي الحديث الآخر عند الترمذي: «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: الْحَسَنَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا يُحَدِّثُ الرَّجُلُ بِهَا نَفْسَهُ، وَالرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»(١).

فالذي قَرَّرَهُ الرسول ﷺ في الرؤيا أنها ثلاثة:

الأول: حَديث النفس؛ وهي التي أسماها العلماء الماديُّونَ بالانعكاسات النفسية؛ وهي خواطر النفس، وتطلعاتها التي تصبو إلى تحقيقها في واقع الحياة، فتراها في المنام؛ إذ تحلم بممارسة أمور لم تستطع تحقيقها في واقع الحياة.

النَّوْعُ الثَّانِي: من الرؤى التي أخبر بها الرسول ﷺ : هي الرؤيا التي يسببها الشيطان؛ فإنه قد يُمَثِّلُ للإنسان في منامه رؤيا مفزعة، تُبَلْبِلُ خواطره، وتُرْهِقُ نفسه، وتَجْعَلُهُ يجول في عوالِمَ بعيدةٍ، حَذِرًا متخوفًا، وفي الحديث: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فالشيطان فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفُلْ ثَلَاثًا وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»، متفق عليه(٢).

وقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قَدْ قُطِعَ. قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ» رواه مسلم(٣).

والشيطان لديه القدرة على الوسوسة في صدور الناس ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾، وفي الحديث «أَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ». فلديه القدرة على أن يُمَثِّلَ للنفس في منامها أمورًا تُفْزِعُهَا وتَحْزُنُهَا.

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (١٨٦٧) (٢/٢٦٢)، فالرؤيا كالكشف: منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، كما قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/١٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٢/٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦١) (٢) في أول كتاب الرؤيا.

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٨) (١٦) في الرؤيا.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: رؤيا لم يُفَكِّرْ بِهَا صاحبها يومًا، ولم تخطر على باله، وهي بَعِيدَةٌ كل البعد عن تفكيره، وقد يراها بصورة جلية، لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل، وقد تكون أمثالًا مضروبة، وأحداثًا مسبوكة، تحتاج إلى علم وتقدير، وفهم ثاقب، ونظر بعيد، وما كل من رُزِقَ علمًا رُزِقَ فَهْمًا بتأويل الأحلام والرؤى.

وهذا النوع من الرؤى هو البقية الباقية من حقيقة النبوة، فالوحي قد انقطع، والنبوة قد خُتِمَتْ، ولم يَبْقَ إلا هذه الرؤى، وهي المبشرات، يَقُولُ الرسول ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ». قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». رواه البخاري(١).

وزاد مالك برواية عطاء بن يسار: «يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». متفق عليه(٢).

وإذا كانت الرؤيا من الرسول والأنبياء فهي حق لا تُكَذَّبُ، بل هي وحي إلهي، وقد بادر خليل الرحمن إبراهيم إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه يذبحه، وما ذلك إلا لأن رؤياه وحي.

وغير الأنبياء تقع له الرؤيا الحق، وتكون دلائل الصدق عليها بينة، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنها رؤيا حق إلا إذا تحققت على النحو الذي رآه صاحبه في منامه.

لقد كان من أسباب افتتان بعض الناس، ومتابعتهم لأولئك الذين احتلوا الحرم المكي، واعتصموا به، تلك الرؤى التي رآها بعض الكبار والصغار، والنساء والرجال، وهي في جملتها تشير إلى أن المدعو محمد عبدالله القحطاني هو المهدي الذي بَشَّرَ به الرسول ﷺ(٣). وقد تبين للناس اليوم أن تلك الرؤى لم تكن صادقة؛ لأن ذلك

---

(١) رواه البخاري (١٢/٣٧٥) في التعبير: باب المبشرات، ومالك في «الموطأ» (٢/٩٥٧).
(٢) رواه البخاري (١٢/٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦٤) في الرؤيا.
(٣) انظر ص (٥٥٧).

الرجل ليس هو المهدي، وإلا لو كان هو لم يقتل، ولبقي حتى يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَتْ جورًا وظُلْمًا؛ فذلك من علاماته الثابتة في الأحاديث، ولو كان فينا رسول الله ﷺ لعرفنا بالرؤيا الباطلة إذا اشتبهت الأمور، أما ونحن لسنا بمعصومين، فإن الرؤى تبقى في مجال الظن، ولا ترقى إلى اليقين والجزم ما لم تتمثل في واقع مشهود، وعند ذلك يوافق الواقع الخبر.

لقد أوَّل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بين يدي الرسول ﷺ رؤيا، فبين له الرسول ﷺ أنه أصاب في تأويله وأخطأ[١]، فمن يضمنُ لنا ألا نقع في الخطإ، ومن يضمَنُ لنا أن نُصِيبَ كَبِدَ الحقيقة[٢].

* * * * *

(١) عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: «إني رأيت الليلة ظلة يَنْطُفُ منها السمن والعسل، ورأيت الناس يستقون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، ورأيت سببًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل بعدك فَعَلا، ثم أخذه رجل بعده فَعَلا، ثم أخذ به رجل فقُطِع به، ثم وُصِلَ له فَعَلا به»، فقال أبو بكر: «أي رسول الله بأبي أنت وأمي، والله لتدعني أعبرها»، فقال: «اعْبُرْها»، فقال: «أما الظُّلَّة فظلة الإسلام، وأما ما ينطف من السمن والعسل فهذا القرآن لينه وحلاوته، وأما المستكثر والمستقل، فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فهو الحق الذي أنت عليه فأخذتَ به فيُعْلِيكَ الله، ثم يأخذ به بعدك رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ بعده رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ آخر فينقطع به، ثم يوصل فيعلو به، أي رسول الله لتحدثني أصبتُ أم أخطأت؟»، قال النبي ﷺ: «أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا»، قال: «أقسمت - بأبي أنت وأمي - يا رسول الله لتخبرني ما الذي أخطأت؟»، فقال النبي ﷺ: «لا تقسم»، رواه البخاري (١٢/٤٣١- فتح)، ومسلم (٢٢٦٩)، وأبو داود (٤٦٣٢)، والترمذي (صحيح الترمذي: ٢٤٠٩)، واللفظ له.

(٢) «جولة في رياض العلماء» ص (١٠٧-١١٠) بتصرف.

نَمَاذِجُ وَاقِعِيَّةٌ مِن انْحِرَافِ النَّاسِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمَنَامَاتِ

• دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ لَا تُسْفَكُ بِالْأَحْلَامِ:

حكى الحسن بن قحطبة قال: (اسْتُؤْذِنَ لشَرِيك بن عَبْدِاللَّهِ القاضي على المهدي وأنا حاضر، فقال: «عَلَيَّ بالسيف»، فأُحْضِرَ.

قال الحسن: فاستقبلني رِعْدَةٌ لم أملكها، ودخل شَرِيْكٌ فسلَّم، فانتضى المهدي السيف، وقال: «لا سَلَّمَ الله عليك يا فاسقُ».

فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن للفاسق علاماتٍ يُعرف بها: شرب الخمور، وسماع المعازف، وارتكاب المحظورات؛ فعلى أيِّ ذلك وجدتني؟

قال: «قَتَلَنِي اللهُ إن لم أقتُلْكَ».

قال: ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين، ودمي حرام عليك؟

قال: لأني رأيت في المنام كأني مقبل عليك أكلمك، وأنت تكلمني من قفاك، فأرسلت إلى المعبِّر، فسألته عنها، فقال: هذا رجل يطأ بساطك وهو يُسِرُّ خِلافَك. فقال شَرِيْك: «يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ، **وإن دماء المسلمين لا تُسْفَكُ بالأحلام**»، فَنَكَّسَ المهدي رأسه، وأشار إليه بيده: أَنِ اخْرُجْ، فانصرف.

قال الحسن: فقمت فلحقته، فقال: أما رأيت صاحِبَكَ وما أراد أن يصنع؟

فقلت:اسكت ـ لله أبوك! ـ ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثلك)[١].

• لَا يُطْعَنُ فِي الرَّاوِي بِمُجَرَّدِ مَنَامٍ:

روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» بإسناده عن أحمد بن محمد بن رشدين أن بعضهم رأى الشافعي في المنام، فقال له: «كَذَبَ عليَّ يونس بن عبدالأعلى في حديث الجَنَدِي.. ما

(١) ذكره في «معالم في طريق طلب العلم» ص (٢٦٦-٢٦٧) غير معزوٍّ، وانظر: «الاعتصام» (١/ ٢٦١-٢٦٢).

هذا من حديثي، ولا حدَّثتُ به»[١]، عَلَّقَ الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «الفتن والملاحم»[٢]: «يونس بن عبدالأعلى من الثقات، لا يُطعَن فيه بمجرد منام».

● **الرُّؤْيَا تَسُرُّ، وَلَا تَغُرُّ:**

عن المَرُّوذي قال: أدخلتُ إبراهيم الحُصْري على أبي عبدالله ـ وكان رجلًا صالحًا ـ فقال: «إن أمي رأت لك منامًا، هو كذا وكذا، وذكرتِ الجنة»، فقال: «يا أخي، إن سهلَ بن سلامة كان الناس يُخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء، وقال: الرؤيا تَسُرُّ المؤمن ولا تَغُرُّه»[٣].

وعن محمد بن يزيد قال: كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة، فإذا أُخْبِرَ بها اشتد بكاؤه، وقال: «قد خَشِيتُ أن يكون هذا من الشيطان»[٤].

● **يقول الشيخ سعيد بن ناصر الغامدي:**

(تضايق ناسٌ من وجود حاكم من الحُكَّام، وأصبحوا يتحدثون عن أمراضه، وقرب وفاته، فإذا بكثير منهم يرى في المنام أنه سيموت في شهر كذا، أو قبل شهر كذا، ثم يؤولها لهم واحد ممن على شاكلتهم، فيجزمون أنه لا يصلي العيد مع المسلمين، ويؤكدون بأن هذه الرؤى تواطأت، وأنه لا يمكن تكذيبها أو جحدها، ولا يمكن التشكيك في حصولها، فما الذي حدث؟ لقد صلى العيد وأعيادًا أخرى بعده.

وآخرون ثَقُلَ عليهم ما يُعَانِيهِ المسلمون من اليهود، فطاشت نفوسهم إلى أحلام رأوا فيها أن معارك واجتياحات يهودية لبلدان المسلمين؛ سوف تحصل في عام كذا وكذا، وبدءوا يضعون الخطط والاستراتيجيات، والتوقعات، لمواجهة هذا العدوان في هذا التاريخ.

---

(١) «تهذيب الكمال» (٦/٥٩٦).

(٢) «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم» (١/٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٢٧).

(٤) «تلبيس إبليس» ص (٥٣٥).

وكم من رؤى يقظة أو منام بالغ في تقديرها الإنسان، وهو يعلم أنها من حديث النفس، أو تلبيسات الشيطان، فجرته إلى مهاويَ وبلاويَ، والله المستعان)(١).

● **وعقد الشيخ سلمان العودة فصلًا حول ظاهرة الاستغراق في المنامات، والغلو فيها، فقال ـ حفظه الله ـ:**

(ما أجمل الحادثة التي يذكرها المترجمون عن الإمام «عبدالقادر الجيلاني» ـ رحمه الله ـ أنه كان نائمًا، فرأى نارًا عظيمة تتصاعد، ثم سمع منها صوتًا يقول له: يا عبدالقادر.. أنا ربك.. وقد أحللت لك ما حرمت عليك.

فقال الشيخ عبدالقادر وهو في المنام:

ـ اخسأ يا عدو الله!

وعرف أن الشيطان عرض له ليصده عن دينه؛ لأن الحرام لا يكون حلالًا أبدًا، كما أن النجاسة لا تكون طهارة أبدًا، فلا يتحول المحرَّم بشريعة الله إلى حلال؛ لأن رجلًا رأى في النوم من يُحِلُّهُ له.

وإذا كُنَّا لا نقبل ونحن في اليقظة بكامل عقولنا وقوانا، من يُحَلِّلُ لنا الحرام، أو يُحَرِّمُ عَلَيْنَا الحلال.. فكيف نقبل ذلك في النوم حين يغيب إدراك الإنسان، ولا يعي ما حوله؟!

إن الاشتغال بهذه الرؤى العابثة هو شأن الفارغين، فإذا فقد الناس العلم الصحيح، والتوجيه السليم، اتجهوا لمثل هذه الخرافات، يروون بها ظمأهم، وحاجتهم إلى الدين.

ولذلك فإن لهذه الرؤى دلالة واضحة على مستوى الوعي، والفهم في المجتمع، وخاصَّة في مجال «المرأة».

وليس الحل هو أن يَهُبَّ العلماء إذا سمعوا مثل هذه الأسطورة؛ ليبينوا كذبها، هذا ـ

---

(١) «زغل الدعاة» ص (٦٦-٦٧).

ولا شك ـ مطلوب، ولكن يَجِبُ أن نسبق الأحداث ونبذل جهودًا كافية لملء عقل المرأة والرجل بالعلم الصحيح، والعاطفة الحية.. فالوقاية خير من العلاج.

لعل من الملاحظ أن بعض «الْقُصَّاص» والْوُعَّاظ يسردون كثيرًا من الأحلام في أحاديثهم، في الترغيب والترهيب.. وربما كان هذا المنهج، منهج المبالغة في ذكر الرؤى ناتجًا عن قلة العلم بالنصوص الشرعية.. وناتجًا عن فراغ فكري وعاطفي لدى هذا المتحدث ـ أيضًا.

أتذكر أنني قرأت أبياتًا لأحد المسجونين يصف فيها حاله، وحال أصحابه في السجن، ثم عرفت أنه الشاعر المعروف علي بن الجهم، أو عبدالله بن معاوية، أو صالح ابن عبدالقدوس، ويقول:

إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنَا نَرْفَعُ الشَّكْوَى ... فَفِي يَدِهِ كَشْفُ الضَّرُورَةِ وَالْبَلْوَى
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّا لأَهْلِهَا ... فَلَسْنَا مِنَ الأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الأَحْيَا
إِذَا جَاءَنَا السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... فَرِحْنَا وَقُلْنَا: جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفْرَحُ بِالرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا ... إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجْلَى وَأَبْطَأَتْ ... وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

● يَتَحَدَّثُونَ كَثِيرًا عَنِ الرُّؤْيَا، لماذا؟

أَوَّلًا: للفراغ، فليس لديهم أحاديث عن الوقائع والمستجدات؛ لأنهم مَعْزُولُونَ لا يسمعونها، خاصة في الزمن الماضي، وليس لهم عمل يشغلهم، ويقضي على فراغهم، خاصة في الماضي ـ أيضًا.

وَثَانِيًا: لأنهم في حال كرب، والرؤيا قد تكون مُبَشِّرَةً، تُشْعِرُ السجينَ بقرب خلاصه.

وربما كان في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وصاحبيه ما يُشِيرُ إلى أن السجين تحدث له الرؤيا، ويتحدث عنها، أكثر من غيره، خاصة وهو يعلم أن الأبواب كلها قد

أُغْلِقَتْ، فيلجأ إلى الله، ويَصْدُقُ معه، فيحدث له من صفاء القلب ما لا يحدث له في غير سِجْنِهِ.

إنه لجدير بالداعية أن يقتصد في ذكر الرؤى والأحلام، فلا يجعلها لُحْمَةَ وعظه وسُدَاهُ، ولا يقيمها مقامَ الأدلة الشرعية.

كان ﷺ كما في الصحيح، إذا صَلَّى الفجرَ التفت إلى أصحابه فقال: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ (١)

... لكنه ﷺ حَدَّدَ فائدة الرؤيا بـ «التبشير»، وما في معناه (والله أعلم)؛ كالتحذير، أما التشريع فلا تشريع في يقظة ولا منام بعد موته ـ عليه الصلاة والسلام.

وليس كل ما يراه الإنسان في المنام رؤيا، بل هناك «الحلم» (٢)، وهو من الشيطان، وقد نَهَى النبي ﷺ أن يُخْبِرَ الإنسان بِتَلَاعُبِ الشيطان به في المنام (٣).

وهناك حديث النفس، فإذا شغل أمر من الأمور بال الإنسان تراءى له في المنام.

وقد يكون ما يراه بسبب اعتلال المزاج واختلاله، أو الشبع أو الجوع أو غيرهما.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧)، وانظر: «الفتح» (٤٣٩/١٢) وما بعدها.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان آخر الزمان، لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا، والرؤيا ثلاثةٌ: رؤيا بشرى من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ورؤيا مما يحدّث الإنسان نفسه، ورؤيا من تحزين الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فلا يحدّث به، وليقم وليصلِّ، والقيدُ في المنام ثباتٌ في الدين، والغُلُّ أكرهُهُ». (البخاري: ٣٥٦/١٢، ٣٥٩)، ومسلم (٢٢٦٣)، وانظر «شرح السنة» للبغوي: (٢٠٨/١٢).

(٣) عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجُلٌ وهو يخطب، فقال: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم البارحة كأن عُنقي ضربت، فسقط رأسي، فأتبعتُه، فأخذتُهُ ثم أعدتُهُ مكانه، فقال رسول الله ﷺ: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدّثن به الناس» أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وانظر: «شرح السنة» للبغوي (٢١٢/١٢)..

وقد قَرَأْتُ أن أحد الروائيين المشهورين كان يأكل أكلة ثقيلة، ثم ينام، فإذا استيقظ دوَّن ما رأى على شكل «رواية»، أو قصة يتداولها الناس، ويتعجبون من خيال هذا الكاتب!

ومرة أخرى يجب التأكيد أن الداعية أو الواعظ لا يجدر به أن يَتَسَاهَلَ في حكاية الروايات الواهية، والموضوعة، والمشكوك فيها.. أن فلانًا رأى وفلانًا رأى.. ورأى رجل صالح فيما يرى النائم.. ورأت امرأة صالحة.

وما يدرينا نحن عن صلاحها؟ وقد يكون الإنسان ظاهرُهُ الصلاح، لكن فيه «غفلة الصالحين»، فيحدِّث بكل ما يسمع.

وفي مقدمة صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[(١)].

لقد أصبحت سيرة بعض الدُّعَاة والمصلحين تُلَاكُ في كثير من المجالس، بسبب حَشْدِهِمْ لهذه الأقاصيص، وهذه الرؤى، والأحلام، وتوثيقهم لها، بدون تثبت، وعدم تقدير نوعية المخاطبين، ومستوى عقولهم.

وإنه لمن الخطإ أن نَرْبِطَ إيمان الناس بأمر شرعي برؤيا حادثة، من حق أي إنسان أن لا يصدقها، أو أن يَشُكَّ فيها، فنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وخلاصة الأمر أن لا يستكثر الواعظ من سرد الرؤى، بل يجعلها كالملح، إن زاد ضر، وإن نقص ضر، على أن يكون وفق الضوابط التالية:

- لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا تَشْرِيعٌ.
- لَا تَكُونُ مُشْتَمِلَةً عَلَى تَهْوِيلٍ أَوْ مُبَالَغَةٍ يَأْبَاهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ عَدُّوا الْمُبَالَغَةَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى وَضْعِهِ.. فَمَا بَالُكَ بِالرُّؤْيَا؟

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧٢/١).

- أَلَّا يُرْبَطَ إِيمَانُ النَّاسِ بِهَا، بَلْ يُوَجَّهُونَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُرَبَّوْنَ عَلَى تَعْظِيمِهِمَا، وَالرُّؤْيَا لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مُبَشِّرَةً أَوْ مُحَذِّرَةً.
- أَلَّا يَتَسَرَّعَ فِي التَّوْثِيقِ فِي أُمُورٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ، وَلَا يُبَالِغَ فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِمُحَدِّثِيهِ.

على أن يُشْرَحَ للناس الموقف الشرعي الصحيح من الرؤيا، وأنواع ما يراه الإنسان في المنام، وآداب الرؤيا.. إلخ). اهـ.(١)

وعيد من كذب في منامه

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ: «من تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل»(٢)، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «مِن أفرى الفِرى أن يُرِيَ عينَه ما لم تَرَ»(٣).

* * * * *

(١) «قضايا في المنهج» ص (١٩-٢٣) بتصرف يسير.

(٢) رواه البخاري في «التعبير» (٧٠٤٢) (١٢/٤٢٧)، وتحلَّم: تكلَّف الحلم، بأن زعم أنه رأى رؤيا في حال كونه كاذبًا في دعواه، قوله: ولن يفعل: لأن فتل إحداهما بالأخرى غير ممكن عادة، فهو يُعذَّب حتى يفعل ذلك، ولا يمكنه فعله، فيدوم عذابه.
قال المناوي - رحمه الله -: «وإنما شُدِّد الوعيد على ذلك مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ إذ قد يكون شهادة في قتل أو حدٍّ؛ لأن الكذب في النوم كذب على الله تعالى، لأن الرؤيا جزء من النبوة، وما كان من أجزائها فهو منه تعالى، والكذب على الخالق أقبح منه على المخلوق» اهـ. من «فيض القدير» (٦/٩٩).

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٣) (١٢/٤٢٧)، وأفرى الفِرى: أعظم الكذبات.

واقعة طريفة: جاء في هامش «البداية والنهاية» (١٣/١٢٠) أن أعرابيًّا جاء إلى «قان»، وقال له: رأيت في النوم أباك جنكيز خان، فقال لي: «قل لابني قان يقتل المسلمين»، وكان قان يميل إلى المسلمين، مخالفًا لأهل بيته، فسأل الرجل: «هل تعرف اللغة المغولية؟» فقال: لا، فقال الملك له: «أنت كاذب، لأن أبي ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية»، فأمر بضرب عنقه، وأراح المسلمين من كيده.

مَنَامَاتٌ فِي خِدْمَةِ الْبِدَعِ وَالضَّلالَاتِ

● **قال ابن عربي:**

«إني رأيت رسول الله ﷺ في مُبَشِّرَةٍ ـ رؤيا ـ أُرِيتُهَا في العشر الأواخر من المحرم سنة ٦٢٧هـ بدمشق، وبيده كتاب، فقال: هذا كتاب «فصوص الحِكَم»، خذه، واخرج به إلى الناس[١].

● **وزعم ابْنُ الْفَارِضِ:**

أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فسأله ـ أي النبي ـ عن قصيدته التائية الكبرى، بِمَ سَمَّاهَا؟ فأجابه ابن الفارض بأنه سماها «لوائح الجنان، وروائح الجنان»، فقال له النبي: لا، بل سَمِّهَا «نظم السلوك».. ومن هنا كان الاسم عنوانًا على هذه القصيدة، اشْتُهِرَتْ به[٢].

● **إن من عادة الصوفية اختلاقَ القصص «الإرهابية»؛ لترهيب الناس من مخالفتهم أو الإنكار عليهم:**

قال النبهاني: «قال المناوي: قال لي فقيه عصره شيخنا الرملي: إن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونُصِبَتْ أوانٍ في غاية الكِبَر، وأُغْلِيَ فيها ماء يتطاير منه

---

(١) «الكتاب التذكاري لمحيي الدين بن عربي» ص (١٣٥) ط. القاهرة ـ ١٣٨٩هـ، وليت شعري كيف يقر رسول الله ﷺ كتاب «فصوص الحكم» الذي يقول فيه الإمام ولي الدين أبو زرعة العراقي رحمه الله: «لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر إلى وفاته، فهو كافر مخلد في النار بلا شك» اهـ. من «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للعلامة برهان الدين البقاعي ص (١٣٥).

(٢) «ابن الفارض» للدكتور محمد مصطفى حلمي ص (١٩٦)، وابن الفارض قال فيه العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل: «واعلم أن ابن الفارض من رءوس أهل الاتحاد» اهـ. من «تنبيه الغبي» ص (٥٦)، وفي القصيدة المشار إليها يناجي ابن الفارض ربه مخاطبًا إياه ـ تَعَالَى ـ وتقدس ـ بضمير المؤنث، كما في «ديوان ابن الفارض» المكتبة الثقافية. بيروت ص (٣٢-٣٨)، قال البقاعي رحمه الله: «قد صارت نسبة العلماء له ـ أي ابن الفارض ـ إلى الكفر متواترة تواترًا معنويًّا» اهـ. من «تنبيه الغبي» ص (٢١٧).

الشرر، وجيء بجماعة ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فصُلِقوا فيه حتى تَهَرَّى اللحم والعظم، فقال: ما هؤلاء؟ قال: «الذين ينكرون على ابن عربي وابن الفارض»[(١)].

● **الأَمِيرُ بُرْهَان نِظَام شَاهْ:**

الذي تَشَيَّعَ وبالغ في ذلك، حتى إنه أمر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - في المساجد، والأسواق، والشوارع، وجعل الأرزاق السَّنِيَّة للسابين من خزانته، وقتل، وأسر خلقًا كثيرًا من أهل السنة والجماعة، وسبب ذلك على ما ذكره محمد قاسم الشيعي البيجابوري في تاريخه: (أن ولده عبدالقادر ابْتُلِيَ بمرض عسير، عجز الأطباء عنه، واستيأس الناس من حياته، وكان برهان شاه يبذل النقود والجواهر والأموال الطائلة فيه، فبَشَّرَهُ الشيخ طاهر[(٢)] ذات يوم بشفائه، وعهد إليه أن يخطب للأئمة[(٣)] في الجُمَعِ، والأعياد، ويروج مذهبهم في بلاده، فعاهده برهان شاه.

ورأى في تلك الليلة كأن رجلًا يقدم عليه، وستة رجال معه في جانبه الأيمن، وستة كذلك في جانبه الأيسر، وقيل له: «إن القادم هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ومعه الأئمة من أهل البيت»، فَسَلَّمَ عليه برهان شاه، فقال له الرجل القادم: «إن الله - سبحانه - قد شفى ولدك، فعليك أن تجتهد فيما أشار إليه ولدي طاهر»، ثم انتبه برهان شاه من نومه، فرأى أن ولده قد شفاه الله - سبحانه - في تلك الليلة، فَتَلَقَّنَ من الطاهر مذهب الإمامية من الولاء والبراء، وتشيَّع، وتَشَيَّعَ أهل بيته، وخدمُه نحو ثلاثة آلاف، وصار الطاهر مقضيَّ الأمر في ترويج مذهبه بأرض الدكن)[(٤)].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/٢١٨) ط. دار صادر - بيروت.

(٢) هو طاهر بن رضى الإسماعيلي القزويني الذي أمر بقتله إسماعيل بن الحيدر الصفوي سلطان الفرس، فخرج من بلاده، وقدم الهند، ثم استقدمه برهان شاه، وبنى له مدرسة يدرس بها، وكان يحضر دروسه العلماء كلهم، ويحضر برهان شاه أيضًا لميله إلى العلم، ويجلس عنده إلى آخر البحث، حتى إنه كان يحقن الماء في البطن، ولا يخرج من ذلك المجلس لقضاء الحاجة.

(٣) أي أئمةِ الرافضة الاثنى عشر.

(٤) «المختار المصون من أعلام القرون» (٢/٨٤٦)، وانظر: «فرق الهند» ص(٥٧٩ - ٥٨٠).

• عَصَا العَيْدَرُوسِ:

فيما يلي قصة «منامٍ» لوَّح به الشيخ عبدالقادر العيدروس في كتابه «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»، ورفعها كعصا يهدد بها كل من ينكر على أبي حامد الغزالي، وعلى «إحيائه»؛ حيث قال:

«وذكر اليافعي أن أبا الحسن بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي - كان بالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين - وكان مُطَاعًا مسموع الكلمة -، فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الإحياء، وهَمَّ بإحراقها في الجامع يوم الجمعة، فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع، فإذا هو بالنبي ﷺ فيه، ومعه أبو بكر وعمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -. والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي ﷺ، فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي: «هذا خصمي يا رسول الله، فإن كان الأمر كما زعم تُبْتُ إلى الله، وإن كان شيئًا حصل من بركتك، واتباع سنتك، فخذ لي من خصمي، ثم ناول النبي ﷺ كتاب الإحياء، فتصفحه النبي ﷺ ورقة ورقة، من أوله إلى آخره، ثم قال: والله إن هذا لشيء حسن. ثم ناوله الصِّدِّيق رضي الله عنه، فنظر فيه، فاستجاده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق إنه لشيء حسن، ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه، فنظر فيه، وأثنى عليه، كما قال الصِّدِّيق، فأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص، وأن يُضْرَبَ ويُحَدَّ حدَّ المفتري، فجُرِّد وضُرِبَ، فلما ضُرِبَ خمسة أسواط تَشَفَّعَ فيه الصدِّيقُ رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله، لعله ظن فيه خلاف سنتك، فأخطأ في ظنه، فَرَضِيَ الإمام الغزالي، وقبل شفاعة الصِّدِّيق. ثم استيقظ ابن حرزهم، وأثَرُ السياط في ظهره، وأعلم أصحابَهُ، وتاب إلى الله عن إنكاره على الإمام الغزالي واستغفر، ولكنه بقي مدة طويلة متألِّمًا من أثر السياط»(١).

---

(١) «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» ملحق بآخر «الإحياء»، وانظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٣١/٤- ١٣٢).

وهذا الحُلْم مما يقطع ببطلانه، وكذبه؛ وذلك لما تضمنه «الإحياء» من الضلالات والطامَّات[(١)]، وهو الذي يقول فيه الإمام أبو بكر الطُّرطوشي ـ رحمه الله ـ: «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على بَسِيطِ الأرض أكثرَ كذبًا منه»[(٢)]، ولذلك أفتى علماء الدولة المرابطية بتحريقه.

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر ـ رحمه الله ـ بسنده إلى أبي الفتح الساوي أنه كان في المسجد الحرام، فغلبه النوم، فرأى عرصة واسعة فيها ناس كثيرون واقفين، وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد، قد تحلقوا كلهم على رسول الله ﷺ، يَعْرِضُونَ أن يقرءوا عليه من كتبهم، إلى أن قال: فلما رأيت أن القوم قد فرغوا، وما بقي أحد يقرأ عليه شيئًا، تقدمت قليلًا، وكان في يدي كتاب مُجَلَّدٌ، فناديت وقلت: يا رسول الله هذا الكتاب معتقدي، ومعتقد أهل السنة، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك؟ فقال: وأَيْشِ ذاك؟ قلت: يا رسول الله، هو قواعد العقائد الذي صَنَّفَهُ الغزالي، فَأَذِنَ لي في القراءة، فقعدت وابتدأت، وقرأت عليه الكتاب[(٣)].

وليت شعري كيف يمثل «قواعد العقائد» عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو كتاب مبني على المذهب الأشعري، وقد شحن بأساليب علم الكلام الذي ذمَّه السلف، ونَفَّروا منه، وهو كتاب يحوم حول شرح صفات المعاني السبع: الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، كما أنه مُشْتَمِلٌ على الجوهر، والعَرَض، ونحوهما من عبارات المتكلمين المبتدعة، فما كان هذا شأنه يستحيل أن يرضى عنه، أو يقبله رسول الله ﷺ

---

(١) راجع في بيانها مفصلة «أبو حامد الغزالي والتصوف» للشيخ عبدالرحمن دمشقية ـ ط. دار طيبة ـ الرياض.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٣٢٨).

(٣) انظر: «تبيين كذب المفتري» ص (٢٩٧- ٢٩٩).

● **أَضْرِحَةُ الْمَنَامَاتِ .. وَالْمَزَارَات الْمَزُوَّرَات:**

تُوجَدُ في كثير من بلاد العالم الإسلامي مقابر وهميةٌ يُزْعَمُ أنها مقابرُ لأولياءَ صالحين، ويَرْجِعُ الفضل في بنائها إلى «رُؤًى منامية»؛ إذ يكفي عند القوم أن يَدَّعِيَ مُدَّعٍ أنه رأى رؤيا تُكَلِّفُهُ ببناء قبر أو قبة فوق المكان الفلاني؛ ليصبح مزارًا لأحد الأولياء.

ومن أشهر أضرحة الرؤيا: مشهد السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ بالقاهرة، أقامته زوجة الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله[(١)]، وكذا ضريح السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين ابن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -[(٢)].

ومنها: القبر المنسوب إلى زينب بنت علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما - بالقاهرة، فإنه كذب لا أصل له، ويقال: إن موضعه كان ساقية، فلما رأى صاحبها أنها لا تغل له مع التعب إلا اليسير، زعم للناس: أَنَّهُ رأى زينب في المنام، تأمره أن يُقِيمَ لها قبة في هذا المكان؛ فأقامها، وأعانه العوام، ثم كان سادنًا لها، فجاءته الأموال الكثيرة[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تَعَالَى -: «حدثني بعض أصحابنا أنه ظهر بشاطئ الفرات رجلان، وكان أحدهما قد اتخذ قبرًا تُجْبَى إليه أموال ممن يزوره، ويُنْذَرُ له من الضُّلَّال، فعمد الآخر إلى قبر، وزعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبدالرحمن بن عوف، وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام: «وغالب ما يَسْتَنِدُ إليه الواحد من هؤلاء: أن يَدَّعِي أنه رأى منامًا، أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه: إما رائحة طيبة، وإما توهم خرق عادة ونحو ذلك، وإما حكاية عن بعض الناس: أنه كان يُعَظِّمُ ذلك القبر.

(١) «الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي» لمصطفى عبدالله شيحة ص(١٤٣).
(٢) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/١٠٢).
(٣) «صراع بين الحق والباطل» ص (١١١).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥٩).

فأما المنامات فكثير منها - بل أكثرها - كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر، والشام، والعراق من يَدَّعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي، أو أن فيه أثر نبي، ونحو ذلك، ويكون كاذبًا، وهذا الشيء مُنْتَشِرٌ، فرائي المنام غالبًا ما يكون كاذبًا، وبتقدير صِدْقِهِ: فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان، والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صِحَّتِهَا لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق؛ فإنه قد ثَبَتَ في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ».

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة، فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع»[(١)].

هَذِهِ الظَّاهِرَةُ.. إِلَى مَتَى؟

تقول الرواية: «مرضت فتاة مرضًا شديدًا أعيا الأطباء، وفي ذات ليلة بكت حتى جاءها النوم، وهي على تلك الحال، فرأت أم المؤمنين زينب، فوضعت في فمها شيئًا من القطران، وطلبت منها أن تكتب أذكارًا معينة ثلاث عشرة مرة، وتطلب من الناس أن يكتبوها، فلما استيقظت الفتاة وجدت نفسها قد شُفِيَتْ من المرض تمامًا، وقامت بكتابة الورقة ثلاث عشرةَ مرة، ووزعتها، فحدث التالي:

- أول ورقة وقعت في يد رجل فقير فكتبها ثلاث عشرة مرة، ووزعها، فجاءته أموال طائلة بعد ثلاثة عشر يومًا.
- والورقة الثانية وقعت في يد غني، فمزقها، فذهبت أمواله كلها بعد ثلاثة عشر يومًا.
- والورقة الثالثة: وقعت في يد رجل على رأس عمل كبير، فسخر منها، ففُصِلَ من العمل بعد ثلاثة عشر يومًا.
- تقول الرواية: فعليك أخي المسلم، أختي المسلمة، أن تقوموا بكتابة هذه الورقة، وتوزيعها؛ لتنالوا من الله كل ما تحبون في إرادته»

(١) «السابق» (٢٧/٤٥٧ - ٤٥٨).

- **ويعلق الشيخ سلمان العودة على هذه «الخرافة» قائلًا:**

إنه نوع من «الإرهاب الفكري» المدمِّر.

لا تستخدم عقلك، ولا تناقش؛ لئلا يصيبك ما أصاب هؤلاء، واحذر أن تمزق تلك الورقة «الأسطورة»؛ لئلا تفقد عملك، أو تفقد مالك.. وربما تفقد دينك - هكذا يزعمون -.

إن الوحي قد انتهى فلا يتنزل على أحد بعد النبي ﷺ، ومع ذلك، فإن من المسلمين من يشرِّعون تشريعات جديدة، لم ترد في الوحي، ويُحذِّرون من يخالفها بالعقاب والعذاب، ويُبَشِّرُونَ من يفعلها بالتوفيق.. فكيف تنطلي هذه الألاعيب السخيفة على مسلم قرأ في التنزيل:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣] .

إننا نعلم يقينًا أن الإنسان قد يترك أعظم شعائر الدين العملية - وهي الصلاة -، ومع ذلك يظل مرزوقًا معافًى في دنياه؛ لأن الدنيا ليست دار جزاء ولا حساب، والأصل أن الجزاء والحساب في الآخرة، بل نجد قومًا كُفَّارًا لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، ومع ذلك وَسَّعَ الله عليهم في الرزق، وأعطاهم من العلم المادي، والحضارة المادية، ما لم يُعْطِ غيرهم.

فالدنيا دار بلاء، وليست دار جزاء.

فكيف يأتي من يستخف بعقول بعضنا، ويزعم أن من لم يَفْعَلْ كذا أصابه بعد أيام معدودة ما يكره، ومن فعله لَقِيَ ما يحب؟!

وهذا الفعل المطلوب ليس واجبًا، ولا مُسْتَحَبًّا، بل ولا مباحًا، إنما هو بدعة منكرة، وخرافة غليظة.

ثم لنتساءل: هل هذه الكتابة «عبادة»، أم أنها «عمل دنيوي محض»؟

فإذا كانت عبادة، فهي مردودة؛ لأن الإنسان أراد بها الدنيا، وحفظ المال، والوظيفة، والصحة، ولم يُرِدْ بها وجه الله ـ تَعَالَى.

وإذا كانت عَمَلًا دنيويًّا فهي ـ أيضًا ـ مرفوضة؛ لأنها ليست من الأسباب المادية، والذي يُرِيدُ المحافظة على الوظيفة عليه أن لا يتأخر عن وقت الدوام، وأن يؤدي مسئولياته، وأن يُحْسِنَ استقبال المراجعين، ويبني علاقته مع رؤسائه على أساس صحيح.

وهكذا حفظ المال والصحة وغيرهما له أسبابه المادية المعروفة، وليس هذا العمل منها بحال.

ثم لماذا رقم (١٣)؟

لقد جاء في الشرع الذكر مرة واحدة، وثلاث مرات، وسبع مرات، وعشر مرات، ومائة مرة، أما ثلاثَ عشرةَ مرة فليس لذلك نظير في الشرع مطلقًا؟

وأخيرًا: من الذي يَرْوِي هذه الأكذوبة المُلَفَّقَة المخترعة؟

فتاة مريضة؟ ومن هي؟ ومن يقول إنها صادقة؟ ومن يروي عن هذه الفتاة؟ إنها رِوَايَةٌ مسلسلة بالمجهولين، والكذَّابين، والأفَّاكين، وهؤلاء لا تُقْبَلُ شهادتهم على بَصَلَةٍ، فما دونها، فكيف تُقْبَلُ روايتهم في أمر كهذا؟!

وحتى لو كان الرواة من أساطين الثقات، فإنهم إذا حدَّثوا بمثل هذا الكذب البواح سقطت عدالتهم، وذهبت الثقة بهم، وتُرِكُوا، ووجب ردعهم وتعزيرهم، ومنعهم من التغرير بعقول السُّذَّجِ والبُلْهِ، والله المستعان، وأنَّى لأساطين الثقات أن يحدثوا بمثل هذا؟![1]. اهـ.

---

(١) «قضايا في المنهج» ص (١٥ـ ١٨) بتصرف.

ونظير هذه الرواية ما يشيع من وقت إلى آخر من أن فتاة رأت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لها: «إن الساعة ستكون قريبًا، وعلامة ذلك أن تفتحي مصحفًا قديمًا فتجدي فيه شعرة»، فترى الناس يُهْرَعُون إلى فحص مصاحفهم للتفتيش عن الشعرة المزعومة.

رُؤْيَة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ

قد يظُنُّ بعض الناس أن هناك نوعًا من الرؤيا لا يحتاج إلى تبين، فهي عندهم صادقة أبدًا، وهي رؤية رسول الله ﷺ في المنام، ولا شَكَّ أن رؤيا الرسول ﷺ حقٌّ وصدقٌ؛ وذلك لما ثبت من قوله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَزَايَا بِي»[(١)]، وقوله ﷺ: «من رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي»[(٢)]، وقوله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»[(٣)]، وقوله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي»[(٤)].

ولكن ينبغي أن نَعْلَمَ أن رُؤْيَا الرسول ﷺ تكون حقًّا إذا كانت الصورة المرئية له هي صورته الحقيقية التي كان عليها، أما إذا رُؤِيَ بصورة غير صورته، وزعمت الصورة المرئية أنها الرسول، فالأمر ليس كذلك، فالممنوع أن يَتَمَثَّلَ الشيطان في الصورة الحقيقية للرسول ﷺ أما أن يزعم الشيطان أنه الرسول، وقد تَمَثَّلَ في صورة غير صورة الرسول، فهذا أمر لم ينفِهِ الحديث.

---

(١) رواه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه البخاري (٦٩٩٦) (١٢/٣٨٣)، ومسلم (٢٢٦٧).

(٢) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الترمذي (٢٢٨٠)، وهو في «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٨٥٩).

(٣) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٦٩٩٣) (١٢/٣٨٣)، ومسلم (٢٢٦٦) (١١).

(٤) رواه من حديث جابر رضي الله عنه الإمام أحمد (٣/٣٥٠)، ومسلم (٢٢٦٨) (١٢)، وابن ماجه (٣٩٠٢).

إذن هناك فرق كبير بين أن يقول: «من رآني»، وبين: «من رأى شخصًا يدعي أنه أنا»، أو «من رأى شخصًا وظن أنه أنا»، فإن قوله ﷺ : «من رآني» يعني رؤيته ﷺ بشكله، وصورته التي كان عليها.

وهناك فرق - أيضًا - بين قوله ﷺ : «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وبين: «فإن الشيطان لا يدعي أنه أنا»؛ فالأولى تعني أن الشيطان لا يستطيع أن يتراءى بصورة الرسول ﷺ ، وشكله الذي كان عليه في حياته؛ بحيث لو رآه أحد الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لعرفه ﷺ .

إن الشيطان ممنوع من أن يتمثل بشخص النبي ﷺ ، ولكن ليس ممنوعًا من أن يقول: «أنا رسول الله»، ويكون في صورة غير صورته ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وقوله: «لا يستطيع أن يتمثل بي» يشير إلى أن الله - تَعَالَى - وإن أمكن الشيطان من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يُمَكِّنه من التصور في صورة النبي ﷺ . وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها)(١) .

وروى الحافظ في «الفتح» (من طريق إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن سليمان بن حرب، وهو من شيوخ البخاري، عن حَمَّاد بن زيد، عن أيوب قال: «كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قَصَّ عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: «صِفْ لي الذي رأيته»، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: «لم تَرَهُ»، وسنده صحيح، ووجدت له ما يؤيده: فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حَدَّثَني أبي قال: قلت لابن عباس: «رأيت النبي ﷺ في المنام»، قال: «صِفْهُ لي»، قال: «ذكرت الحسن بن علي، فشبهته به»، قال: «قَدْ رَأَيْتَهُ»، وسنده جيد)(٢) .

وقصة الشيخ عبدالقادر مع الشيطان معروفة، وذلك حين قال له الشيطان: «أنا

---

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٨٦).
(٢) «السابق» (١٢/٣٨٤).

ربك، قد أبحتك من فرائضي»، فقال له الشيخ: «اخْسَأْ يا عدو الله»، فقال الشيطان: «غَلَبْتَني بفقهك يا عبدالقادر»، فَسُئِلَ عن كيفية وقوفه على خُدْعَةِ الشيطان، فقال: إن الشيطان قال: «أنا ربك»، ولم يجرؤ على أن يقول: «أنا الله»، وزعم أنه قد أَحَلَّني من فرائض العبادات، والله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يُحِلَّ ذلك لنبيه ﷺ فكيف يحلها لي؟

فإذا كان يُمْكِنُ للشيطان أن يقول أنا ربك، ألا يمكنه أن يقول «أنا النبي»، من غير أن يتمثَّل بالنبي ﷺ بالضرورة[١].

نَمَاذِجُ مِنَ الاِسْتِغَلَالِ السَّيِّئِ لِمَا يُزْعَمُ مِنْ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَنَامِ

وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قول الشعراني في «مختصره لتذكرة القرطبي»:

فقد حكى اختلافَ الناس في موضع رأس الحسين رضي الله عنه وحكى قول القرطبي: إن أصح ما قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ دُفِنَ بالبقيع عند قبر أمه، فاطمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، ثم قال: «وبه قال الزبير بن بَكَّار الذي هو أعلم بالأنساب، قال القرطبي - رحمه الله - تَعَالَى -: وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك، أو بالقاهرة، فشيء باطل لا يصح، ولا يثبت»[٢].

ثم قال الشعراني: ومما وقع لي أنني قلت لسيدي الشيخ شهاب الدين بن شلبي الحنفي مفتي المسلمين رضي الله عنه

«أترى أن تزور معنا رأس الحسين في المشهد بخان الخليلي؟ فقال: إنه لم يثبت كون الرأس هناك»[٣]، قلت له: «نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك»، فقال: نعم، فلما

(١) انظر: «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» ص (٣٩٤).

(٢) «التذكرة» ص (٦٦٧-٦٦٨).

(٣) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تَعَالَى -: «بل المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي =

دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ: «اجلس مراقبًا بقلبك للرأس»، فجلس متخيلًا لها في ذهنه، فحصل له ثِقَلُ رأسٍ، فنام فرأى نقيبًا مشدود الوسط، قد خرج من القبر، فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبي، وعبدالوهاب الشعراني - يزوران رأس ولدك الحسين، فقال ﷺ : «تَقَبَّل الله منهما»، انتهى، فاستيقظ الشيخ شهاب الدين، وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه، وقال: آمنت وصدقت بأن الرأس هنا، وحكى الواقعة، ولم يزل يزوره حتى مات، فزر يا أخي هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف[1]. فقول الإمام القرطبي - رحمه الله - تَعَالَى -: «إن دفن الرأس في مصر باطل»؛ صحيح في أيام القرطبي؛ فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رُزِّيْك بعد موت القرطبي[2]، فافهم، والله - تَعَالَى - أعلم»[3]. اهـ.

الْوَصِيَّةُ الْخُرَافِيَّةُ الْمُزْمِنَةُ

● ولعل أشهر ما زَوَّرَهُ الكَذَّابُونَ، وروَّجه الأَفَّاكُونَ - الوصية المنحولة المنسوبة إلى

= - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - الذي بالقاهرة كذب مختلق، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم» اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥١)، وقال أيضًا:

«فأصل هذا المشهد القاهري: هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا القاهري محدث بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم.. وهذا بينهم مشهور متواتر» اهـ «السابق» (٢٧/٤٥٦).

(١) فتأمل - رحمك الله - هذه المغالطة، وهذا القفز فوق كل المعايير العلمية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النّجم: الآية ٢٣] .

(٢) وليت شعري كيف يتسنى ذلك وقد توفي طلائع بن رزيك سنة (٥٥٦هـ)، كما في «البداية والنهاية» (١٢/٢٤٣- ٢٤٤)، وتوفي القرطبي رحمه الله بعده بحوالي ١١٥ سنة إذ توفي القرطبي سنة (٦٧١هـ)؟!!

(٣) «مختصر التذكرة للقرطبي» ص (١٨٢- ١٨٣)، وانظر: «وفيات الأعيان» (٢/٥٣٠).

الشيخ أحمد، حامل مفاتيح حرم رسول الله ﷺ، وفيها يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في رؤيا، وأخبره بوصية يُبَلِّغُهَا أمته، وتحتوي هذه الوصية على سلسلةٍ من الوعود بالخير والبركة على من يكتب منها ثلاثين نسخة، ويُوَزِّعُهَا على معارفه، والتهديد بنزول النكبات والمصائب على من يهملها ولا يكتبها. ومن العجيب أن هذه الخرافة «مزمنة»، لا تكاد تخبو منذ أن ظهرت قبل عشرات السنين، فهي تعود إلى الانتشار من حينٍ لآخر، متجاوزة حُدود التاريخ والجغرافيا، فمِن ثَمَّ تعاقب العلماء على تناولها بالنقض والإبطال، ومنهم الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ تَعَالَى ـ (ت ١٣٦٥هـ)؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ في شأنها:

«إننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي إلى الآن مرارًا كثيرة، وكلها معزوة كهذه إلى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، والوصية مكذوبة قطعًا، لا يختلف في ذلك أحد شَمَّ رائحة العلم والدين، وإنما يصدقها البلداء من العوامّ الأميين، ولا شَكَّ أن الواضع لها من العوامّ الذين لم يتعلموا اللغة العربية؛ ولذلك وضعها بعبارة عامِّيَّة سخيفة، لا حاجة إلى بيان أغلاطها بالتفصيل؛ فهذا الأحمق المفتري ينسب هذا الكلام السخيف إلى أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ، ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبًا بخط أخضر، يريد أن النبي الأمي هو الذي كتبه، ثم يتجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره؛ فهذه المعصية هي أعظم من جميع المعاصي التي يقول: إنها فشت في الأمة، وهي الكَذِبُ على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وتكفير علماء أمته، والعارفين بدينه، فإن كل واحد منهم يكذِّب واضع هذه الوصية بها، وقد قال المحدِّثون: إن قوله ﷺ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، قد نُقِلَ بالتواتر، ولا شك أن واضع هذه الوصية مُتَعَمِّدٌ لكذبها، ولا ندري أهناك رجل يُسَمَّى الشيخ أحمد أم لا؟

أما تَهَاوُنُ المسلمين في دينهم، وتركهم الفرائض والسنن، وانهماكهم في المعاصي؛ فهو مُشَاهَدٌ، وآثار ذلك فيهم مشاهدة؛ فقد صاروا وراء جميع الأمم، بعد أن كانوا

بدينهم فوق جميع الأمم، ... ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول، ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها أن يعتمد عليها شرعًا، بل لا يجوز له ذلك إلا إذا كان ما رآه موافقًا للشرع؛ فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا، وهما مملوآن بالعِظَاتِ والعبر، والآيات والنذر»(١).

● وممن تناولها بالرد والإبطال مجلة «نور الإسلام»(٢)؛ إذ جاء فيها:

«بُلِيَ الإسلام بأشخاص يتخذون من الافتراء عليه طرقًا للتنفير منه، أو حبائل لاصطياد شيء من المال، ومن هذا القبيل صحيفة تشتمل على حكاية رؤيا منسوبة لشخص يُسَمِّي نفسه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، وقد اخْتُرِعَتْ هذه الأكذوبة من مدة تزيد على أربعين سنة، ولا يزال مخترعها يتعهد بها الناس في الشرق والغرب من سنة إلى أخرى، وكثيرًا ما كتب أهل العلم في تزييفها وبيان ضلالاتها، ورجاؤنا اليوم في الخطباء والوُعَّاظِ أن يُنَبِّهُوا الأمة لفريتها، وسخافة عقل من يتقبلها، وقد ورد إدارة المجلة مقال مُحَرَّر بقلم فضيلة الأستاذ صاحب التوقيع، يكشف عن جهل كاتبها، وسوء قصده، وعظم وِزْرِهِ، وإليك ما كتب الأستاذ محمود ياسين:

«لا نزال بين آونة وأخرى نسمع خبر هذه الرؤيا، ويسوؤنا أن يتهافت الناس على طبعها، ونشرها، وقراءتها، وتعليقها على الجدران؛ رغبة في الوعد الذي وقع فيها، وهو قوله: «ومن يُصَدِّقْ بها يَنْجُ من عذاب النار»، وقوله: «ومن قرأها ونقلها من بلد إلى بلد؛ كان رفيق النبي ﷺ في الجنة، وكانت له شفاعته يوم القيامة»، ورهبة من الوعيد الذي تضمنته، وهو قوله: «ومن كذب بها كفر»، وقوله: «ومن قرأها ولم ينقلها كان خصم النبي ﷺ يوم القيامة».

(١) «فتاوى رشيد رضا» (١/ ٢٤٠- ٢٤٢) بتصرف، بواسطة «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) «المجلد الثالث» - الجزء الرابع - عدد ربيع الثاني ١٣٥١هـ ص (٢٨٩) وما بعدها، بواسطة «كتب حذر منها العلماء» (٢/٣٣٩- ٣٤٧) بتصرف.

كُنَّا في سنة (١٣٢١) هجرية نَشَرْنَا في الجزء السادس من المجلد الثالث من مجلة «الحقائق»؛ ردًّا مُمْتِعًا على هذه الفرية، وحَذَّرْنَا الناسَ من الوثوق بها، والاغترار بوعودها، ووَقَعَ إذ ذاك في خَلَدِنَا أنَّ صاحب هذه النشرة سيرتدع عن إعادة نشرها، وأنَّ الناس سيُعْرِضُونَ عنها، ولا يلتفتون بعد هذا إليها، ولكن خاب ما ظَنَنَّا، ولم نبلغ ما أملنا؛ فالكاذب لا يزال الفينةَ بعد الفينةِ ينشر فريته، ويذيع كذبته بين الناس، وهم لا يزالون يُقْبِلُونَ عليها، ويتقبلون ما فيها من تُرَّهَاتٍ وتغرير بالقبول الحسن، والعناية اللازمة.

ثم إن ناشرها جريًا مع الأيام قد عاد عليها بالتشذيب والتهذيب؛ فَنَقَّحَ وصَحَّحَ، وحذف منها كثيرًا من المفتريات التي كنا نبهنا عليها مثل قوله: «كنت ليلة الجمعة في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر الخير سنة كذا ـ مضطجعًا على وضوء كامل» ... إلخ، وقوله: «استحيت (كذا) من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وهو يقول لي: يا محمد، لأبدلن وجوههم، وأعذبهم عذابًا شديدًا. فقلت: يا رب، أمهلهم حتى أنذرهم وأبلغهم»... إلخ، وقوله: «ياأحمد، إنهم قد سُلِبَ إيمانهم من كثرة الزنى»... إلخ، وقوله: «ياأحمد، إن تارك الصلاة لا تمشوا بجنازته»، وقوله: «ومن اطلع عليها ولم يخبر بها الناس كان وجهه مُسْوَدًّا يوم القيامة»... إلخ، وقوله: «ومن كذَّب ولم يُصَدِّقْ بها ـ يعني الوصية ـ فهو ملعون، ثم ملعون ...» إلخ، وقوله: «من بعد ألف وثلاث ومئة وأربعين سنة يخرجن (كذا) النساء من بيوتهن إلى الأسواق، من غير إذن أزواجهن»... إلخ، وقوله: «وبعد ألف وثلاث مئة وخمسين ينزل من السماء مطر كبيض الدجاج، وبعد سنة (١٣٧٠) تغيب الشمس ثلاثة أيام»، وقوله: «وبعد ألف وأربع مئة يظهر المسيح الدجّال».

وقوله: «فما كان، والله، والله، والله، وآيات الله، وأمانه، أنها مكتوبة بقلم القدرة»، وقوله: «ومن كان عنده ثلاثة دراهم واستأجر بهم (كذا)، وكتب هذه الوصية، وكان مُذْنِبًا، وعليه فرض صيام؛ غُفِرَتْ ذنوبه ببركة هذه الوصية».

كل هذه التُرَّهَاتِ والأكذوبات قد حذفها هذا المفتري الكَذَّاب جَرْيًا مع الأيام كما

قلنا، وجاء إلينا الآن برؤيا، أو وصية ملخَّصة مشذَّبة، ومع ذلك، لم تَخْلُ مما يجب إنكاره، وفضيحة صاحبه، وإشهاره بين الناس بأنه كاذب أفَّاك متلاعب، مجترئ على الله ـ تَعَالَى ـ، وعلى رسولهﷺ، القائل في الحديث الصحيح المتواتر الذي رواه الجم الكثير من الصحابة عنهﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»؛ أي: فليتخذ منزله منها.

«لو أن هذا الرجل الذي سَمَّى نفسه بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية كان ممن يخشون الله ـ تَعَالَى ـ، ويُعِدُّونَ العدة للقائه ـ سبحانه ـ، لما حَمَّل نفسه أقبح أنواع الكذب، وأشدها لله ـ تَعَالَى ـ سخطًا؛ حيث اعتاد أن يبني وصيته على رُؤْيَا منامية يحكيها للناس، وهُوَ في ذلك من الأفَّاكين الكذَّابين الدَّجَّالين؛ فقد صحَّ عنهﷺ؛ أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ»، وقالﷺ: «مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ».

- **مِنِ افْتِرَاءَاتِ صَاحِبِ الْوَصِيَّةِ الْمَزْعُومَةِ**

قوله: «قال الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة: قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: من قَرَأَهَا ونقلها من بلد إلى بلد؛ كان رفيقي في الجنة، وشفاعتي له يوم القيامة، ومن قرأها ولم ينقلها كان خصمي يوم القيامة»؛ لأن فيها إسنادَ حديث إلى النبيﷺ كَذِبٍ موضوعٍ عليه، لا أصل له في الدين، ولا يحل نقله عنهﷺ لأحد من المسلمين؛ فالعجب ممن يدعي أنه خادم الحجرة النبوية الشريفة؛ كيف يجرؤ هذه الجرأة، ويتقول على النبيﷺ ما لم يَقُلْهُ، وما لا يجتمع مع أحكام دينه، وقواعد شريعته؟ وهذا وأمثاله يحملنا على أن نظن بهذا الرجل أنه ليس من المسلمين، بل عدو لهم متستر باسم خادم الحجرة النبوية الشريفة، يستهزئ بدينهم، وبأحكام شرعهم؛ فيجعل جزاء نقل وصية من بلد إلى بلد مرافقة النبيﷺ في الجنة، واستحقاق شفاعته.

ومنها قوله: «ومن يصدق بها ينجو (كذا) من عذاب النار، ومن كذب بها كفر»؛

لأنَّ هذا الوعيد لا يصح أن يكون إلا لكتاب الله ـ تَعَالَى ـ، وما علم من الدين الإسلاميّ بالضرورة؛ كأركان الإيمان والإسلام، أما غير ذلك مما لا يجب الإيمان به شرعًا، فالتكذيب به ليس كفرًا، كما أن التصديق به لا يُنَجِّي من نار، ولا يمنع من عذاب، ومن هنا يعلم القارئ سَخَافَةَ عقل هذا الرجل الذي يسمي نفسه بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة، وجهله، وقلة دينه، وجرأته على الله ـ تَعَالَى ـ وعلى شريعته، وأنه على ما نُرَجِّحُ متلاعب مستتر بهذا الاسم، لا يريد إلا الكيد للمسلمين وإيذاءهم.

(إن هذه الوصية تحمل في طَيَّاتِهَا دليل كذبها، ودليل تزويرها؛ فصاحبها يهدِّد الناس ويخوِّفهم إذا لم ينشروها أن تصيبهم المصائب، وتحلَّ بهم الكوارث، وأن يموت أبناؤهم، وأن تُفْقَدَ أموالهم، وهذا ما لم يقل به إنسان، حتى في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لم يُؤْمَرِ الناس أن كلَّ مَنْ قرأ القرآن كتبه ونشره، وأن مَنْ قرأ «صحيح البخاري» كتبه ونشره، وإلا حلت به المصائب؛ فكيف بمثل هذه الوصايا التخريفيَّة؟! هذا شيء لا يمكن أن يصدِّقَهُ عقل مسلم، يفهم الإسلام فَهْمًا صحيحًا.

وتقول الوصية الزَّائفة: إنَّ فلانًا في البلد الفلاني نشر هذه الوصية؛ فرُزِقَ بعشرات الآلاف من الروبيات، هذا كله تخريف، وتضليل للمسلمين عن الطريق الصحيح، وعن اتباع السنن والأسباب التي وضع الله عليها نظام هذا الكون؛ فالرزق له أسبابه، وله طرائقه، وله سننه)(١).

- **وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى تُبْطِلُ هذه الوصية المزعومة، وهاك نَصَّها:**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

«من الممكن عقلًا الجائز شرعًا أن يرى المسلم في منامه النبي ﷺ على هيئته

(١) «فتاوى معاصرة» (١/١٨٧).

وصورته التي خلقه الله عليها؛ فتكون رؤيا حقٌّ، فإن الشيطان لا يتمثل به؛ لقوله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي». رواه الإمام أحمد والبخاري من طريق أنس، ولكن قد يكذب الإنسان فيدعي زورًا أنه رأى النبي ﷺ على صورته التي خَلَقَهُ الله عليها، والتي نُقِلَتْ إلينا نقلًا صحيحًا، وقد يرى في منامه شَخْصًا على غير الصفة الخِلْقية للنبي ﷺ ويُخَيِّلُ إليه الشيطان أنه النبي ﷺ وليس به؛ فتكون الرؤيا كاذبة.

والرؤيا المنسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية إن لم تَصِحَّ نسبتها إليه؛ كانت مصطنعة مفتراة، وهذا هو الظاهر؛ فإنه لا يزال مُدَّعٍ مجهول يسمي نفسه الشيخ أحمد، ويدعي أنه رأى هذه الرؤيا، وقد تُوُفِّيَ الشيخ أحمد خادم الحجرة من زمن طويل، كما أخبر بذلك أهله، وأقرب الناس إليه، حينما سئلوا عن ذلك، وأنكروا نسبة هذه الرؤيا إليه، وهم ألصق الناس به، وأعرفهم بحاله، وإن صَحَّتْ نسبتها إليه، فهي إما كذب منه وافتراء على النبي ﷺ، وإما أضغاث أحلام وخيال كاذب، وتلبيس من الشيطان على الرائي، وليست رؤيا صادقة، والذي يدل على أنها كذب، وبهتان، أو خيال وزور ـ ما اشتملت عليه مما يتنافى مع الواقع، وشريعة رسول الله ﷺ.

أما منافاتها للواقع، فإنها لا تزال تُطْبَع وتنشر مرات بعد وفاته، وقد أنكر أهله وأَلْصَقُ الناس به نسبتها إليه حينما سُئِلُوا عن ذلك.

وأما منافاتها للشريعة الإسلامية؛ فلما اشتملت عليه من الأمور التالية:

أَوَّلًا: الإخبار فيها عن تحديد عدد من مات من هذه الأمة على غير الإسلام من الجمعة إلى الجمعة، وهذا من أمور الغيب، التي لا يعلمها البشر، إنما يعلمها الله، ومن يظهره عليها من رسله في حياتهم، وقد انقطعت الرسالة من البشر بوفاة النبي ﷺ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥]، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ

مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠] .

ثانيًا: إخباره عن النبي ﷺ أنه قال له: «أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربي والملائكة»؛ فإنه من الزور والأخبار المنكرة؛ لأن النبي ﷺ لا يعلم أحوال أمته بعد وفاته، بل لا يعلم منها أيام حياته في الدنيا إلا ما رآه بنفسه، أو أخبره به من اطلع عليه من الناس، أو أظهره الله عليه؛ فعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: خطب النبي ﷺ، فقال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»، إلى أن قال: «أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُصَيْحَابِي. فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: الآية ١١٧] . فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»، رواه البخاري.

وعلى تقدير أنه يعلم أحوال أمته بعد وفاته، فلا يلحقه بذلك حرج، ولا يصيبه من وراء كثرة ذنوبهم ومعاصيهم إثم ولا خجل، وقد ثبت في حديث الشفاعة العظمى أن أهل الموقف كُفَّارًا ومسلمين يستشفعون بالأنبياء واحدًا بعد آخر حينما يشتد بهم هول الموقف، فيعتذر كل منهم عن الشفاعة لهم عند الله، ثم ينتهي أهل الموقف إلى النبي ﷺ، فيسألونه أن يشفع لهم عند الله، فيستجيب لهم، ولا يمنعه من الشفاعة لهم كثرة معاصيهم، أو كفر الكافرين منهم، ولا يخجل من ذلك، بل يذهب فيسجد تحت العرش، ويحمد ربه، ويثني عليه بمحامد يُعَلِّمُهُ إياها، حتى يأمره أن يرفع رأسه، وأن يشفع لهم، وبعد ذلك ينصرفون للحساب والجزاء، ولم يمنعه شيء من ذلك من لقاء ربه، ومقابلة الملائكة، ولم يَلْحَقْهُ منه عار.

ثَالِثًا: إخباره بالجزاء العظيم الذي يترتب على كتابة هذه الوصية، ونقلها من محل إلى محل، أو من بلد إلى بلد، وتعيين جزاء الأعمال وتحديده من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، وقد انقطع الوحي إلى البشر بوفاة خاتم الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ فادعاء العلم بذلك باطل، وقد ادعاه الشيخ أحمد المزعوم؛ حيث قال في الوصية المكذوبة: «ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد، ومن محل إلى محل، بُنِيَ له قصر في الجنة»، وقال: «ومن يكتبها وكان فقيرًا أغناه الله، أو كان مدينًا قضى الله دَيْنَه، أو كان عليه ذنب غفر الله له ولوالديه»؛ فهو كاذب في ذلك.

وكذا إخباره عن الوعيد الشديد الذي يصيب من لم يكتبها، ويرسلها، وتعيينه إياه بأنه يُحْرَمُ شفاعة النبي ﷺ، ويَسْوَدُّ وجهه في الدنيا والآخرة؛ حيث قَالَ فيها: «ومن لم يكتبها ويرسلها، حُرِّمَتْ عليه شفاعتي يوم القيامة»، وقال: «ومن لم يكتبها من عباد الله، اسْوَدَّ وجهه في الدنيا والآخرة»؛ فهذا ـ أيضًا ـ من الغيب الذي لا يعلم بتحديده إلا الله، فَإِخْبَارُهُ به وقد انقطع الوحي إلى البشر؛ رجم بالغيب، وكَذِبٌ وزور، وكذا قوله فيها: «ومن يُصَدِّقْ بها (ينجو) من عذاب النار، ومن يكذب بها كفر»؛ فهذا ـ أيضًا ـ زورٌ وبهتانٌ، فإن التكذيب بالرؤيا الصادرة من غير الأنبياء لا يعد كُفْرًا بإجماع المسلمين.

رَابِعًا: إن كل ما أَخْبَرَ به من الوعد والوعيد على سبيل التعيين والتحديد يتضمن تشريعًا بالحث على كتابة الوصية، وإبلاغها ونشرها بين الناس للعمل بها، واعتقاد ما فيها رَجَاءَ المثوبة التي حَدَّدَهَا، ويتضمن تشريع تحريم كتمانها، والتفريط في إبلاغها ونشرها، والتحذير من ذلك خشية أن يَحِيقَ بمن كتمها أو فَرَّطَ في نَشْرِهَا ما أخبر به من الوعيد الشديد بحرمانه من الشفاعة، واسوداد وجهه.

خَامِسًا: عَدَمُ التناسب بين ما أخبر به من الجزاء والأعمال، وهو دليل الوضع والكذب في الأخبار، إلى غير هذه الأمور من الأكاذيب؛ فيجب أن يحذر المسلم هذه

الوصية المزعومة، ويعمل على القضاء عليها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم(١).

لَا يَسْتَدِلُّ بِالرُّؤْيَا فِي الْأَحْكَامِ إِلَّا ضَعِيفُ الْمُنَّةِ

● قال الإمام أبو إسحق الشاطبي ـ رحمه الله ـ تَعَالَى ـ:

«وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، مُعْرِضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عُمِلَ بمقتضاها، وإلا وجب تركها، والإعراض عنها، وإنما فَائِدَتُهَا البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا، فلو رأى في النوم قائلًا يقول: إن فلانًا سرق فاقطعه، أو عالم فاسأله، أو اعمل بما يقولون لك، أو فلان زنى فحده، وما أشبه ذلك؛ لم يصحَّ له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة، وإلا كان عاملًا بغير شريعة؛ إذ ليس بعد رسول الله ﷺ وحي.

ولا يُقَالُ: إن الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تُهْمَلَ، وأيضًا إن المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ، وهو قد قال: «مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»، وإذا كان... فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة.

لأنا نقول: إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صُرِفَتْ إلى جهة البشارة والنذارة.

وأيضًا، فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٤/٧٤- ٧٧) فتوى (٩٩٩).

الرجل الصالح، وحصول الشروط مما ينظر فيه، قد تتوفر، وقد لا تتوفر.

وأيضًا فهي منقسمة إلى الحلم وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون بسبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة؟ ويلزم أيضًا على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي ﷺ وهو منهي عنه بالإجماع.

يُحكى أن شريك بن عبدالله القاضي دخل على المهديِّ، فلما رآه قال: «عليَّ بالسيف والنِّطْع»[1]، قال: «ولم يا أمير المؤمنين؟»، قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني، فقصصت رؤياي على من عبَّرها، فقال لي: «يُظهر لك طاعة، ويضمر معصية»، فقال له شريك: والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا أن معبرك بيوسف الصديق عليه السلام، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟ فاستحيى المهدي، وقال: اخرج عني، ثم صرفه وأبعده.

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله ﷺ الرائي بحكم، فلا بد من النظر فيها أيضًا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم بما استقر، وإن أخبر بمخالف، فمحال، لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئًا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقًّا لم يخبره بما يخالف الشرع.

لكن يبقى النظر في معنى قوله ﷺ : «من رآني في النوم فقد رآني»، وفيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي ﷺ، فقال له: «ما تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة»، فأجاب بأنه:

(١) النِّطَع: بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يُقْتَل فوقه المحكومُ عليه بالقتل.

لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا، وذلك باطل لا يصح أن يُعتقد، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤياهم وحي، ومن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

ثم قال: وليس معنى قوله: «من رآني فقد رآني حقًّا» أن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة، بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة، ويراه الرائي على صفة، وغيره على صفة أخرى، ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته، وإنما معنى الحديث: من رآني على صورتي التي خُلِقتُ عليها فقد رآني، إذ لا يتمثل الشيطان بي .. إلى أن قال الشاطبي رحمه الله: «فهذا ما نقل عن ابن رشد، وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي ﷺ، وإن اعتقد الرائي أنه هو»، ثم قال: «نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم، لإمكان اختلاط أحد القسمين بالآخر، وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المُنَّة[١]، نعم يأتي المرئي تأنيسًا وبشارة ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكمًا، ولا يبنون عليها أصلًا، وهو الاعتدال في أخذها، حسبما فهم من الشرع فيها، والله أعلم» اهـ[٢].

- وقال الإمام الشاطبي رحمه الله ـ تَعَالَى ـ في سياق الرد على من يحتج بالإلهام والكشف والرؤى المنامية:

(هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر؛ إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًّا، ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًّا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عام لا خاص، وأصله لا ينخرم، ولا ينكسر له اطراد، ولا يحاشَى من الدخول تحت حكمه مكلف، وإذا كان كذلك، فكل ما جاء

---

(١) المُنَّة: القوة، يقال: ليس لقلبه مُنَّة.

(٢) «الاعتصام» (١/ ٢٦٠ـ ٢٦٤) بتصرف.

من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضادًّا لما تمهَّد في الشريعة؛ فهو فاسد باطل.

ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر؛ فرأى الحاكم في منامه أن النبي ﷺ قال له: «لا تحكم بهذه الشهادة؛ فإنها باطل»، فمثل هذه الرؤيا لا معتبَر بها في أمر ولا نهي، ولا بشارة ولا نذارة، لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة، وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع، وما روي «أن أبا بكر ﷺ أنفذ وصية رجل بعد موته برؤيا رؤيت؛ فهي قضية عين لا تقدح في القواعد الكلية لاحتمالها، فلعل الورثة رضوا بذلك، فلا يلزم منها خَرْم أصلًا».

وعلى هذا فلو حصلت المكاشفة بأن هذا الماء المعين مغصوب أو نجس، أو أن هذا الشاهد كاذب، أو أن المال لزيد وقد تحصَّل بالحجة لعمرو، أو ما أشبه ذلك؛ فلا يصح له العمل على وفق ذلك ما لم يتعين سبب ظاهر؛ فلا يجوز له الانتقال إلى التيمم، ولا ترك قبول الشاهد، ولا الشهادة بالمال لزيد على حال، فإن الظواهر قد تعينَّ فيها بحكم الشريعة أمر آخر، فلا يتركها اعتمادًا على مجرد المكاشفة، أو الفراسة، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النومية، ولو جاز ذلك؛ لجاز نقض الأحكام بها وإن ترتبت في الظاهر موجباتها، وهذا غير صحيح بحال، فكذا ما نحن فيه.

وقد جاء في «الصحيح»: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكمَ له على نحو ما أسمع منه» الحديث؛ فقيد الحكم بمقتضى ما يسمع، وترك ما وراء ذلك، فلم يحكم إلا على وفق ما سمع، لا على وفق ما علم، وهو أصل في منع الحاكم أن يحكم بعلمه»(١) اهـ.

---

(١) «الموافقات» (٢/٤٥٧- ٤٥٩).

نصوص أخرى لبعض أهل العلم في المسألة

ذكر جماعة من أهل العلم منهم أبو إسحاق الإسفراييني أن من رأى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ - في المنام وأمره بأمر يلزمه العمل به، ويكون قوله حجة[(١)].

وقد أبى جمهور العلماء هذه الطريقة، واتفقوا على أن أي شيء مما ينتج عن الرؤيا إذا خالف الشريعة مردود، وإن وافقها فهو أمارة يؤتنس بها، وإن لم يوافقها ولم يخالفها جاز العمل بها، وهاك بعضَ نصوصِهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الرؤيا المحضة التي لا دليل على صحتها؛ لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق»[(٢)].

وقال الإمام النووي رحمه الله: (إن الرائي وإن كانت رؤياه حقًا، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بما جاء فيها، لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شروط مَن تُقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظًا لا مغفلًا ولا كثير الخطإ، ولا مختلَّ الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة)[(٣)] اهـ.

وقال ابن الحاج رحمه الله: (إن الله لم يكلف عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ -: «رفع القلم عن ثلاثة...» عَدَّ منهم: «النائم حتى يستيقظ»، لأنه إذا كان نائمًا فليس من أهل التكليف، فلا يعمل بشيء يراه في نومِه)[(٤)] اهـ.

وقال الإمام القرافي رحمه الله: (فلو رآه عليه السلام، فقال له: إن امرأتك طالق ثلاثًا، وهو يجزم بأنه لم يطلقها؛ فهل تحرم عليه لأن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقًّا؟

وقع فيه البحث مع الفقهاء واضطربت آراؤهم في ذلك بالتحريم وعدمه، لتعارض

---

(١) انظر «المدخل» لابن بدران ص (١٣٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥٧ - ٤٥٨).
(٣)، (٤) انظر: «أفعال الرسول ﷺ» للدكتور محمد سليمان الأشقر (٢/١٦٢).

خبره عليه السلام عن تحريمها في النوم، وإخباره في اليقظة في شريعته المعظمة أنها مباحة له، والذي يظهر لي أن إخباره عليه السلام في اليقظة مقدم على الخبر في النوم لتطرق الاحتمال للرائي بالغلط في ضبط المثال)(١) اهـ.

وقال العلامة عليُّ بن سلطان محمد القاري رحمه الله: (لا اعتماد على رؤية المنام في غير حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أن الرؤى قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرائي أو غيره في هذا المقام، فلو فرض أن أحدًا رأى النبي عليه الصلاة والسلام، وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام، فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع علماء الأنام)(٢) اهـ.

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: (إن الشرع الذي شرعه الله لنا قد كمَّله الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٣] .. ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وبهذا تعلم أنا لو قدَّرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ ـ أو فِعْلِهِ حجةً عليه ولا على غيره من الأمة)(٣) اهـ.

وقال العلامة عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:

(أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي؛ فهو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان، لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر، لأن الله سبحانه أكمل لنبينا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ ـ ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز لأحد أن يعتمد شيئًا من الأحلام في مخالفة شرعه عليه الصلاة والسلام)(٤).

(١) «الفروق» (٤/٢٤٥ـ ٢٤٦).
(٢) «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» ص (٢٢).
(٣) «إرشاد الفحول» ص (٢٤٩).
(٤) «جريدة عكاظ» ١٤٠٠/١/١٨هـ.

وأخيرًا إليك هذه الوقائع:

- حكى العثماني قاضي صفد أنه توجه لزيارة الشيخ الزاهد الفقيه الشافعي فرج بن عبدالله المَغْرِبي الصفدي صحبة الشيخ تاج الدين المَفدسي، فجرت مسألة النظر إلى الأمرد، وأن الرافعي يُحَرِّمُ بشرط الشهوة، والنووي يقول: «يحرم مطلقًا»، فقال الشيخ فرج: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: «الحق في هذه المسألة مع النووي»، فصاح الشيخ تاج الدين، وقال: «صار الفقه بالمنامات؟!»، فخضع الشيخ فرج، وقال: «أستغفر الله، أنا حكيت ما رأيت، والبحث له طريق»، فسكت الشيخ تاج الدين، وقال: «نحن في بيتك»(١).
- في إحدى السنوات تراءى الناس الهلال ـ هلال رمضان ـ فلم يروه، فجاء رجل إلى قاضي البلد يقول له:

«لقد رأيت الرسول ﷺ البارحة في المنام، وأخبرني أن الليلة من رمضان، وأمرني والمسلمين بالصيام».

فقال له القاضي: «إن الذي تزعم أنك رأيته في المنام قد رآه الناس في اليقظة جَهَارًا نَهارًا، وقال لهم: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته)؛ فلا حاجة بنا إلى رؤياك»(٢).

- ورُوِيَ أن رجلًا رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: «اذهب إلى موضع كذا فاحفره، فإن فيه رِكَازًا(٣)، فخذه لك، ولا خُمسَ عليك فيه»، فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع، فحفره فوجد الرِّكَازَ فيه، فاستفتى علماء عصره فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العز بن عبدالسلام بأن عليه الخمس، وقال: «أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث صحيح، وقد عارضه ما هو أصح منه، وهو حديث «فِي الرِّكَازِ

---

(١) «الدرر الكامنة» (٣/٣١١-٣١٢).

(٢) «قضايا في المنهج» ص (١٥).

(٣) الركاز: المراد به هنا الأجزاء المستقرة في الأرض من المعادن والجواهر كالذهب والفضة والنحاس.

الْخُمُسُ»(١).

يقول الدكتور عمر الأشقر ـ حفظه الله ـ: «الرؤيا لا تُعَدُّ تشريعًا، وبعض الأفراد والجماعات تجعل من الرؤى، والتجليات، والأفكار، وأحاديث القلوب مصدرًا تشريعيًّا ينافس القرآن والسنَّة، وقد يُقَدَّمُ عليهما.

الرُّؤْيَا الصادقة ما هِيَ إلا مبشِّرٌ بأمر سارٍّ، وقد تكون دعوةً إلى الاستقامة، وقد تكون تثبيتًا على الحق، وقد تُنَفِّرُ من الباطل، ولكنها لا تشرع شيئًا جديدًا، وقد جادلني رجل كان يَسِيرُ على بدعة لم يُشَرِّعْهَا الله؛ إذ كان يَقُومُ على القبور بعد أن يُدْفَنَ أصحابها؛ لِيُلَقِّنَ الميتَ حُجَّتَهُ، ويعرفه بما يجيب به رسل ربه، جادلني هذا الرجل بأن هذا مشروع، بدليل أنه رأى في منامه كيف يُفْعَلُ بالميت منذ نزع الروح إلى الدفن، وكان هذا التلقين مما رآه يُفعل، فقلت له: إن ديننا تامٌّ كامل، لا ينتظر شخصًا يكمله بالرؤيا والمنام، وكيف يكون جوابك عندما يأتيك آخَرُ يزعم أنه رأى خلاف ما رأيت؟!

ومن الذي نتبعه: أنت أم هو؟ كلا، لا نتبع إلا خير الهدي؛ هدي محمد ﷺ»(٢).

* * * * *

(١) «شرح الزرقاني على الموطإ» (٢/١٠١)، والحديث في البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠).
(٢) «جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة» ص (١١٤).